الفصل الرابع
(وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)

• مِنْ سُنَن الله تعالى أنَّ التوفيق والفتوح منه سبحانه لا يمكن أنْ يكون للكُسالى أو المتقاعسين، إنما هي على قدر الجهد وتحمُّل السَّهَر والتعب، وموافقة السُّنن.

وعلى قدر ما يَبذُل الإنسانُ تكون النتائج، مع ملاحظة أنَّ المال والولَد وكثيرًا مِنَ النعم الظاهرة في صحبة الكفر قد تكون عذابًا في الدنيا، وزهوقًا للنفس، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة].

• لقد نهانا الله تعالى عن أنْ نُفتَن ونُعجب بما هم عليه مِنْ تَرَفٍ يَحيَوْنَ فيه، والله سبحانه وتعالى قد ضبط لنا هذه القضية وفصَّلها، فلم يُحرِّم علينا زينة الحياة الدنيا ولا الطَّيِّبات مِنَ الرزق. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف].

إنما حذَّر أنْ يكون استعمالها لمجرد التَّرَف والتنعُّم، بعيدًا عن معرفة قدر المنعم بها، وأداءِ حقّه فيها. فالنعم المفروض فيها الشكر مِنَ العبد، وأنَّها تُقرِّبه إلى الله تعالى، وتجعله أكثر اعترافًا بفضله فيكون أقرب في عبادته، وأكثر ذكرًا له سبحانه.

أمَّا لمجرَّد التَّرف والتلذُّذ واستعمالها فيما حرَّم الله تعالى والبُعد عنه فهذا مِنْ أسبابِ ورود أهل النَّار فيها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الواقعة].

وكما ورد: { إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ؛ فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ } إنها قضية عادلة. كما

قال ﷺ **لعمر بن الخطاب** رضي الله عنه: { أَمَا تَرضَى يَا عُمَرُ أنْ تَكُونَ لَهُم الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةَ }، وقال تعالى - في شأن أهل الدنيا -: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف].

فأيُّهما أحَقُّ بأنْ نُصدِّقَهُ ونثقَ بكلامه ونؤيدَ تعاليمه، ونهتديَ به، **آللَّهُ ﷻ أم ما يُشركون**؟

آللَّهُ ﷻ أمِ العلمانيون؟ والصواب أنْ نُسمِّيهم (مُدَّعي الْعِلْم) أو (أدْعياء العِلْم).

آللَّهُ سبحانه وتعالى أمِ العقلانيون؟ والصواب: أنهم مُدَّعو العقل والفِكْر والحِكمة، أو أدْعيَاء الفِكْر والأدب.

آللَّهُ سبحانه تعالى أمِ الحدَاثِيون؟ (الصواب: الرَّجْعِيون) الذين يريدون لنا أنْ نعود إلى جاهلية أشَّد مما كانت عليه الجاهلية الأُولى.

آللَّهُ الخبير العليم أمِ الإنسان الظلوم الجهول؟!

عَمَّن نأخذ ديننا ونظام حياتنا؟!

أوِصَاية الله تعالى ورسوله خيرٌ أمْ وصاية أصحاب الأهواء والأغراض والخيانة لله ولرسوله؟!

أنتبعُ النور والبرهان والحكمة التي جاءتنا بخبر الله ورسوله أمْ نتخبط في الظلمات والجهالة والضياع والشتات؟!

• سيقول الجميع: لا شَكَّ كلام الله وكلام رسوله، ثم يُثيرون شبهةً جديدة ويقولون: نحن نصدق كلام الله، ونحترم كلام رسوله ﷺ، ولكن نفهمه بفهم مَنْ؟ بفهم مَنْ عاشوا منذ أربعةِ عَشرَ قَرنًا؟ أنفهمهُ بعقليَّة الماضي؟ أو بوعي الحاضر؟ أمْ برؤية المستقبل؟

openkanar.com

وهذا الكلام ليس صحيحًا في صيغتِه ولا في هدفه، وهو باطلٌ أُريد به باطل.

• قائل هذا الكلام، هل يريد مِنَّا أنْ نفهم كلام الله ورسوله بعقله هو؟ وبفهمه هو؟ فإنْ كان يريد ذلك فمن هو؟ أيظن في نفسه أنه خير من الرسول الذي يوحىٰ إليه، وما ينطق عن الهوىٰ! أنترك فهم مَنْ رضي الله عنهم ومَنْ تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدِّين السابقين الأولين مِنَ الأبرارِ وأصحَاب اليمين؟ وهذه المنزلة ما وصلوا إليها إلَّا بتسليمهم قيادة أُمورِهم لله ورسوله ﷺ؛ قال تعالىٰ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة].

والقرآن والسُّنَّة وفَهْمُ أصحاب النَّبيّ ﷺ في أمور الدِّين هو أرقىٰ وأصحُّ فَهْم، والقرآن والسُّنَّة أخبرانا عن الماضي والحاضر والمستقبل، والماضي والواقع والتاريخ يشهد بصدق وصلاحية خبرهما إلىٰ يوم الناس هذا، وإلىٰ قيام الساعة.

❁ ❁ ❁

• وقد قال الله تعالىٰ ممتدِحًا أصحاب النَّبي ﷺ وممتنًا عليهم وعلىٰ مَنْ تبعهم بالرحمة والجنة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]، وبيَّن سبحانه أنَ طريقتهم وأعمالهم هي سبيل المؤمنين الذي يجب اتِّباعه في كلِّ عصر ومصر. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

وتعالَوْا معنا ندرسْ هذا العقل وما دخل فيه وندرس سيرته وسلوكه دراسة تفصيلية فماذا سنجد؟

• إنَّ العلماءَ مِنْ حَفَظَةِ الكِتَاب والسُّنَّة والمتفقِّهين به والمتمسِّكين بالعمل به، مما

تدل عليه سيرتهم وسلوكهم، والعلوم التي درسوها وأجادوا فيها مِنْ علوم اللُّغة والفِقه والأصول والمصطلح والتفسير وعلوم السُّنَّة، هذا بجانب حبّهم لله ولرسوله ولدينه وحرصه على نصرته وإقامته هم المصابيح، فَمَنْ أحقُّ مِنَ الفريقين بأنْ نهتدي بقوله ونثق بفهمه، أيستوي مَنْ أنفق عمره في طلب العلوم الشرعيَّة وَسَهَر الليالي في حفظ القرآن الكريم وفهم السُّنَّة وحضور مجالس العلماء ومتابعتهم، وجاهد الكفار والمنافقين، وقاتل في سبيل الله تعالى؛ معَ مَنْ أنفَق حياته في اللَّهو والعبث وتَأثر بكلام المستشرقين والمغرضين، وطمع في الشُهرة والمنصب؟

ولو فتحنا هذا الباب لصار هناك مليار وثلاثمائة مليون فهم للدِّين، وذلك حسب تعداد المسلمين في العالم اليوم، وهذا لا يصح شرعًا ولا واقعًا ولا عقلًا!

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال سبحانه: ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣]. انظر: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾!

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال بعدها: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية].

وقال ﷺ: { عَلِيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيينَ مِنْ بَعْدِى، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَواجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدثةٍ

بِدْعَة، وَكلَّ بدعةٍ ضَلَالَة، وَكلَّ ضَلَالةٍ فِي النَّارِ }[١].

وأخبر ﷺ أنَّه في آخر الزمان سينطِق الرُّوَيْبِضَة، ويكثر الثرثارون، ويُقبض العلماء، ويتفشَّى الجهل، ويتكلَّم في العلم مَنْ ليس أهلًا له، ويتخذ الناس رءوسًا جُهَّالًا، سئُلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا.

وإذا ما اجتمع المسلمون على فَهْم واحد للقرآن والسُّنَّة، فهل يجتمعون ويعتصمون وأفهامهم مختلفة وآراؤهم متعدِّدة؟! فمتى يجتمع أهل الإسلام وتتّحدُّ الأمة، وعلى أي شيء؟!

والجواب الذي لا خلاف عليه **(وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ)** [آل عمران: ١٠٢].

ونقول:

١- إنَّ الله تعالى وصف إقامة الدِّين والوحدة فيه وعدم الفُرْقة بأنَّ وَاقِعَهُ أليمٌ على المشركين، فتجد أيَّ مظهرٍ فيه توافق ووحدة شعورية في الأُمَّة يغتاظون منه، كالآذان، والتأمين خلف الإمام، وصلاة الجماعة، والجمعة والأعيَاد، والقتال صفًّا واحدًا.

فقائل هذا الكلام لا يخلو مِنْ وصفه بالمكابر أو بالجاهل! أمَا سَمِعَ أو قرأ الهدف الأسمى لأهل الكفر (وهو تفريق الأمة وتقسيمها، والحيلولة دون وحدتها واعتصامها بكتاب ربها وسُنَّة نبيها).

• ألم يسمع تصريحات رؤساء أمريكا والمحتل الصهيوني لمحمود عباس رئيس السلطة الفلسطينية وقوله له: عليه أن يختار الوحدة والاتفاق مع إخوانهم في غزة،

---

(١) أخرجه الترمذي: ك: «العلم» ب: «ما جاء في الأخذ بالسُّنَّة واجتناب البدعة» ح: «٢٦٧٦»، مِن حديث العرباض بن سارية ﷺ.

أو قطع العلاقات وإنهاء فرص السلام (كما يزعمون له) معه!.

فما عاند هذا الدِّين وصدَّ عنه إِلَّا **مكابرٌ في قلبه كِبرٌ**، وسلوكُه يدل على ذلك وهذا شَأْنُ الكافرين والمنافقين.

وَإِمَّا جاهلٌ: فيكون عدوًّا للدين وما جاء به مِنْ حقٍّ وصدقٍ، فالإنسان عدوٌّ لما يجهله، وهذا شأن أصحاب الأهواء والبدع والفرق والأحزاب والشهوات.

وهناك **صِنْفٌ ثالث وهم عُلَمَاءُ السُّوء** الذين يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا، ومتاعًا زائلًا، فيُبدِّلُون الحقَّ، وَيُحِلُّون الحرام، ويكتمون ما قاله الله ورسوله، ويعملون بما لا يقولون.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران].

وأمَرَ النَّبيُّ ﷺ في زمان الفِتَن، وقربَ يوم القيامة بالمسارعة بفعل الصالحات فقال: **{ بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا }**(١).

❁ ❁ ❁

٢- بيَّن الله تعالى صفاتِ صراطه المستقيم، وجعلنا ندعوه في كل يوم عشرات المرات ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة]، وحذَّرنا أنْ نسلك مَسلك الذين كتمُوا الحق، أو الذين بدَّلُوه، أو نتَّصف بصفات مَنِ اتّصف بغضب الله تعالى عليه وكان في ضلال؛ قال تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة].

---

(١) أخرجه مسلم: ك: «الإيمان» ب: «الحثّ على المبادرة بالأعمال الصالحة قبل تظاهر الفِتن» ح: «١١٨» مِن حديث أبي هريرة ﷺ.

• ونحن إذا أردنا أنْ نستمع لقول أحدٍ، هل نستمع لقول المَهديِّين السائرين المتمسِّكين بصراط الله تعالىٰ (وهو القرآن والسُّنَّة)؟ أمْ نستمع للمغضوب عليهم الذين كتمُوا ما أنزل الله تعالىٰ، واتَّبعُوَا أهوَاءهم؟ أم الضالِّين الذين حرَّفوا كلَامَ الله وبدَّلوه؟!

وفي هذه الأُمة المسلمة مَنْ يَتَّبعُ هؤلاء ويتشبه بهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢].

وقال رسول الله ﷺ: { سَتَتبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم شِبرًا بِشِبرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخلتُمُوه وَرَاءَهُم }، قالوا اليهود والنصارىٰ؟ قال: { فَمَن؟!}(١).

• ونَتَساءَلُ: أنَتَّبعُ مَنْ يدعونا إلىٰ عدم إقامة الدِّين والبُعد عنه، وأنْ نترك تَميُّزَنَا وَعزَّنَا واستقلالنا بعقيدتنا وعبادتنا ومعاملاتنا إلىٰ التبعية والمذلَّة واتِّباع عقائد محرَّفَة ومُبدَّلة، وأهواء باطلة، وَأوهَام وَخُرَافَات، أو نكون بلا دين «عفوًا» فالإلحادية فكر وعقيدة ودينها الإلحاد.

• أنَتَّبِعُ مَنْ يدعونا إلى الله والدار الآخرة أمْ مَنْ يَدعُونَا إلى أربَابٍ مُتَفرقين؟ قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص]، وقال تعالىٰ: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري: ك: «الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة»، ب: «قول النَّبي ﷺ: «لتتبعن سُنَن ...»»، ح: «٧٣٢٠»، ومسلم: ك: «العلم»، ب: «اتباع سنن اليهود والنصارى»، ح: «٢٦٦٩»، مِن حديث أبي سعيد الخدري سعد بن مالك ﷺ.

٣- هذه شبهةٌ قديمة، وأصحابها يجدِّدون مآثر أسلافهم مِنَ المشركين والمنافقين. حيث قالوا: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ﴾[القصص: ٥٧].

٤- ما الهدف وما الغرض وراءَ تلك الدَّعَوات؟ هل هو إصلاح وتجديد للإيمان ودعوة الناس إلى ربِّهم، وردُّهم إليه ردًّا جميلًا، وفتحُ الطريق أمَامَ الدعاة، ورفعُ القيود عليهم وعلى مساجدهم؟ أم هو إقرارٌ بالباطل الذي عليه الناس الآن؟ فلا داعي لتحريم الرِّبا، ولا ضرورةَ للحجاب، ولا قيودَ على الحريات الجنسيَّة وَالأخلَاقِيَّة، ولا أهميَّة لإقامة الصلاة جماعة في أوقاتِها في المساجد، ولا أهميَّة ولا اهتمام باللُّغة العربية «**رمز هُويتنا**»، والاهتمام باللغات الأجنبية نُنَمِّيهَا ونُعلي مِنْ شأنها، أليس ذلك هو المعلَن عنه في دعَواتِهم؟!

٥- ذوبان بعض المسلمين «**أفرادًا وجماعات**» في بوتقة الغرب، وهو الهاويةُ لهم، وبداية لوقوعهم في أَسْر التغريب، ومِنْ ثَمَّ في أسرِ عدوِّهم، واحتلاله لأرضهم، ونهبه لخيراتهم وثرواتهم، واللحوق بهم على الكفر والشرك حتى الممات !

٦- هناك صفةٌ لازمةٌ وسُنَّةٌ ثابتةٌ وضعها الله تبارك وتعالى لمن أراد نصرًا وعِزًّا وهي: قوله تعالى: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤﴾ [الأنعام].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۖ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الأحزاب].

وقال ﷺ في شَأن الرجال مِنْ أمَّته الذين استحقُّوا حمل أمانة هذا الدِّين عبر السنين: { **لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لَا يَضُرهُم مَنْ خَالَفَهم إلى قِيَامِ السَّاعَةِ** }، وفي رواية: {**إلى أنْ يأتي أمرُ الله وَهُم كَذَلِكَ**}.

ومِنَ الأدعية النبويَّة: { **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ،**

وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ }(١).

نسأل اللهَ تعالىٰ الثَّباتَ علىٰ الأمر. آمين.

ومن هذه النصوص نفهمُ:

• أنَّ الله تعالىٰ ميزَّ هذا الدِّين العظيم بحفظه مِنَ التبديل. فمن هذا الذي تجرأ علىٰ الله تعالىٰ، وأرَاد أنْ يبُدَّلَ لنا هذه الكلمات، بكلام غيره؟

• **أنَّ علامة الإيمان**: الثبات وقت الشدائد، وقد مدح الله تعالىٰ المؤمنين بقولهم، (هذا ما وعدنا الله ورسوله)، والتصديق بخبر الله ورسوله أكثر مِنَ الواقع المحسوس مِنْ حولهم، فكان ذلك سببًا في زيادة ثباتهم في الشدائد ووقت المحن، فأسلموا لله ﷻ وسَلَّموا به.

• صفة الرجولة لا تُقابلها صفة الأُنوثَة، لأنَّ الأُنثَىٰ يُقابلها الذَّكَرُ، أمَّا صفة الرجولة فيقابلها صفة الجُبن والهلع والخوَر والخداع والمراوغة والفرار والهروب. قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

• أنَّ الصدق مع الله تعالىٰ، والوفاء بعهدهم مع رسوله ﷺ هو سبيلهم إلىٰ الفوز والنَّجاة؛ لذلك ثبتُوا معه: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

• أنَّ الأساس الذي نشأوا عليه ونالوا به تلك المكانة إنَّمَا كان: بالتزامهم قولَ الله وقولَ رسوله ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي: ك: «التفسير»، ب: «مِنْ سورة ص» ح: «٣٢٣٥» عن معاذ بن جبل ﷺ، وقال: حديث حسن صحيح.

التزَموا بما في القرآن الكريم: أشياء قال الله فيها: **(فَلَا تَقْرَبُوهَا)**، وأشياء أخرىٰ يقول فيها: **(فَلَا تَعْتَدُوهَا)**، وأحلَّ لنا أشياء فلا نُحرِّمُها، وحَرَّم أشياء فلا نأتيها، وَسَكَتَ عَنْ أشياء رحمةً بنا مِنْ غير نسيان فلا نسألُ عنهَا؛ حدود واضحة، وصفةٌ مميِّزة لأهلِ الحقِّ في كل زمان ومكان **(وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)**.

• أنَّ مِنْ سُنن الأنبياء والصالحين ودعائهم أنْ يحفظهم الله ﷻ مِنَ الفتن والتي منشؤها التبديل للحق والتغيير فيه (فاقبضنا إليك غَيْرَ مفتونين، لا مبدِّلين، ولا مُغيِّرين). آمين.

❁ ❁ ❁

• **وما بدلوا تبديلا** :

لما تحقَّقت هذه الصفة الملازمة لأهل الحق، كان نصر الله تعالىٰ لهم، وتوفيقه إيَّاهم؛ قال تعالىٰ: **(لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾)** [الأحزاب].

وما كانت هذه الكرامة وهذا النصر المؤزر إِلَّا بعد توفُّر عنصرين أساسيين:

الأول: ثباتهم على الحق :

(وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)، واتِّباعهم الحقَّ المتمثِّلَ في تعاليم رسوله ﷺ القدوة والأسوة لهم، والثقة واليقين في مَعِيَّةِ الله ونصره لرسوله وللمؤمنين.

الثاني: الأخذ بالأسباب :

فقد بَذَلَ النَّبيُّ وأصحابُه كل ما في وُسعهم مِنَ جُهد وفكرٍ وسَعي، فقد حفروا الخندق، ونالهم ما نالهم مِنَ الكَدِّ والتَّعَب والنَّصَب والكَرب والشِّدة ما نالهم، وكان ذلك في غزوة الأحزاب والتي اجتمع فيها وشارك فيها كل طوائف الكُفر

والشِّرك، وأحاطوا المسلمين في بقعة مِنَ الأرض صغيرة للقضاء عليهم.

• **وما بدلوا تبديلا**: سُنَّة الله تعالىٰ لنْ تتغيَّر ولن تتبدَّل، والتاريخ خيرُ بُرهانٍ علىٰ ذلك، وهذه السُّنَّة هي مما يُمَيِّزُ الإسلامَ اليوم عَنْ غيره مِنَ الأديان، فتم حفظه كما هو بدون تغيير أو تبديل أو كتمان أو تحريف.

• **وما بدلوا تبديلا** : إنه ضابطٌ مهمٌّ، سياجٌ متين حول الدِّين، وبدون فَهم هذه السُّنَّة والعمل بها لن نفهم معنىٰ تجديد الدِّين؛ أي بمعنىٰ إحيائه بفرائضه الغائبة، وسُنَنه المهجورة، ولا يتم هذا بقاعدتين لا ينفك عنهما إنْ أردنا الإصلاح وكانت نوايانا سليمة وجادة:

أولهما: **ترك البدعة، ومحاربتها.**

وثانيهما: **المحافظة على الأصول والفروع والظاهر والباطن**، وهذه هي صفة الطائفة المنصورة الناجية: **{ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ }**. **(وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)**.

وبهذا يكون الإصلاح والتطوير والتحسين في كيفية الإحياء للدِّين في قلوب الأمة، وطرق عرض الدِّين بما يناسب إيمان ومعرفة الناس به.

لذلك يمكننا ونحن داخل هذا الإطار أنْ نُجيد طريقةَ العرض لهذا الدِّين. وهذه هي القضية الهامة والخطيرة والتي حذر منها النَّبيُّ ﷺ الدعاةَ بقوله: **{ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ }**(١)، وكذا قول عليّ ﷺ: « حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ (أي: علىٰ قدر إيمانهم)، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللهُ وَرَسُولُهُ »(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: «الآدب» ب: «ما يجوز مِنَ الغضب والشدّة لأمر الله» ح: «٦١١٠»، ومسلم: ك: «الصلاة» ب: «أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام» ح: «٤٦٦» عن أبي سعود الأنصاري ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري: ك: «العلم» ب: «مَنْ خصّ بالعلم قومًا دون قوم كراهية ألَّا يفهموا» ح: «١٢٧».

(فلكلِّ مقامٍ مَقال، ولكلِّ إنسان ما يناسب عقله وفكره مِنَ الحديث).

• **ونسأل سؤالًا**: لماذا أرسل الله تعالى جميع الرُّسُل والأنبياء إلى قومهم خاصَّة، ولم يُرسِل رسولًا للناس كافة وللإنس والجن إلَّا رسولًا واحدًا هو محمد ﷺ ؟!

• **والجواب**: لأن رسالته ﷺ التي أرسل بها تصلح من بعد بعثته إلى قيام الساعة لكل الناس باختلاف ألوانهم وأجناسهم وثقافاتهم وأزمانهم ومكانهم، فهي صالحة لكل زمان ومكان، وقد هيَّئه الله تعالى لذلك، وجعله الدِّين الخاتم، والرسول الخاتم، وأمَّته هي الأمَّة الخاتِمة.

◘ أمثلة ونماذج لعرض الدِّين:

• طريقة تدريس العقيدة الإسلامية:

أمامَنا تجربتان: الأولى (طريقة الأشاعرة)، والأخرى (السلفيَّة المعاصرة)[1] في كيفية تدريس العقيدة، ولسنا بصدد نقد كل طريقة وأسلوبها، أو بيان محاسنها وعيوبها، ولكننا نعرض هنا نموذجًا جديدًا وعرضًا مميَّزًا لكيفية تدريس هذه العقيدة، والتي هي أساس هذا الدِّين العظيم، وسرُّ نجاحه وتفوُّقه عبر الدهور، وسبب قوته وثبات رجاله إلى يوم الدِّين.

وحتى يكون تدريس العقيدة ذا فاعلية مؤثرة، لا بُدَّ مِنْ معرفة أنَّ العقيدة الإسلامية تنقسم إلى قسمين:

الأول: عقيدة عِلميَّة تُدرَّس من خلال الكتاب والسُّنَّة، مع بيان العقائد الأخرى الفاسدة، والفرق الضالة المبتدعة.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) تدريس العقيدة الإسلامية يكون من خلال أقسامها الثلاث:
أ- توحيد الربوبية (المعرفة والإثبات)، ب- توحيد الإلهية (القصد والطلب والعبادة والدعاء)، ج- توحيد الأسماء والصفات، وله أهمية كبرى في الرد على الفرق الكلامية والفلسفية والصوفية وغيرها.

وقال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد].

والثاني: عقيدة عَمليَّة، وقد قصَّ الله تعالى علينا أخبار أصحابها في القرآن والسُّنَّة.

وأرى أنه يمكن تدريس العقيدة الإسلامية بأقسامها ومعارفها من توحيد الألوهيَّة، وتوحيد الربوبيَّة، وتوحيد الأسماء والصفات، وما يجوز في حقِّ الله تعالى وما لا يجوز، والواجب في حقِّه سبحانه، وما يستحيل في حقِّه تعالى.

كلُّ ذلك مِنْ خلال دروس أو كتب لا تُحشَد فيها المعلومات، ولكن يجب أنْ يكون ذلك مِنْ خلال ما يساعدُ المسلمَ على ترقيق قلبه، وعلوِّ همته، وفَهْم دينه فهمًا صحيحًا، وتطبيقه في الواقع تطبيقًا صحيحًا، والخروج به مِنْ دائرة الأوهام إلى حقيقة الأفعال حتى يُرَى أثر هذه العقيدة في واقع عملي، كالجبال الرَّاسيات، كما وصف الله ﷻ أصحابَها مِنْ صحابة رسول الله ﷺ بأنهم: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ ﴾ [النور:٣٧]. ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ويكون ذلك من خلال تفسير القرآن الكريم، وشرح أحاديث رسوله الأمين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسير ومناقب أصحابه من بعده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وتفاصيل ذلك فيما يلي:

❁ ❁ ❁

• **أولا: القرآن الكريم:**

تدبّر وتمعّن سورة الناس على سبيل المثال: **(قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ)** تجد ما يلي:

١- تدبَّر كلمة **(قُلۡ)**، وكيف جمعت بين الله والرسول والمؤمنين والقرآن في كلمة مِنْ حرفين، وبيَّنت العلاقة بينهم: فالله هو صاحب الحق في الأمر والتشريع؛ فهو سبحانه الآمر، والرسول ﷺ هو المبلغ عن الله سبحانه، وهو الواسطة بيَّن الله وخلقه في التبليغ والتشريع، وهو النموذج العملي لمراد الله تعالى مِنَ العِباد.

والأمر مِنَ الله تعالى لرسوله ليصل إلى المؤمنين الذين تربطهم برسولهم رابطة الولاء والسَّمع والطاعة والاستجابة؛ لأنهم على يقين مِنْ أنَّ أيَّ خَبَرٍ يأتي مِنَ الله ورسوله لا يكون فيه إلَّا الخير والنفع لهم، أو دفع الضرِّ عنهم.

والذي يُبلِّغه الرسول ﷺ هو المنهج المتمثِّل في القرآن والسُّنَّة، وهو المنهج الذي يَهدي المؤمنين إلى التي هي أقوم وأقيَم.

❁ ❁ ❁

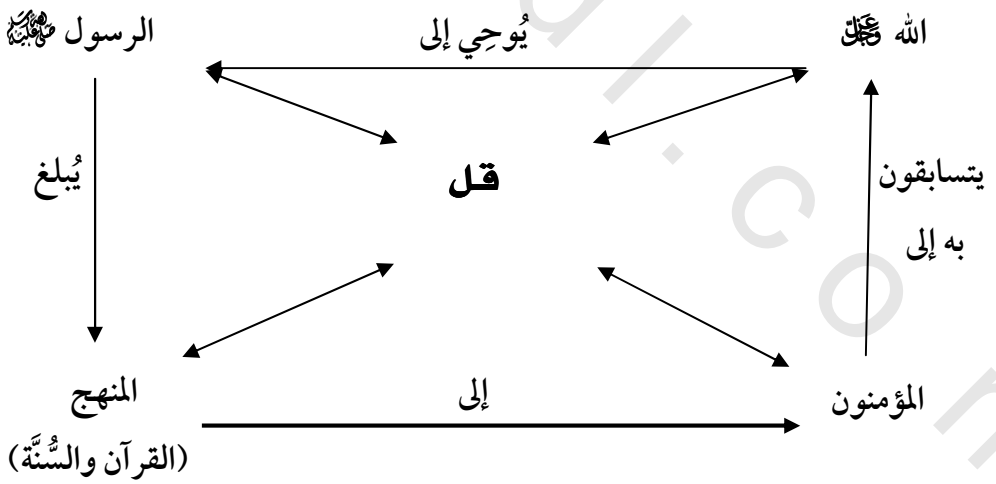

obeikandl.com

ثم تمضي الآية في الحديث عن الاستعاذة **(أَعُوذُ)**، ومِنْ ثم وجب الحديث عن معنى الاستعاذة، ومرادفاتها مِنَ الاستعانة والاستغاثة، وما يجوز لله ا لا يجوز لغيره، والفرق بين استعمالها لله أو استعمالها للبشر، وكل ذلك مِنْ مسائل العقيدة المهمة.

ثم يأتي الحديث عن كلمة **(بِرَبِّ ٱلنَّاسِ)**، حديثٌ عن الربوبيَّة، ومعانيها كما وردت في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

وكيف يستطيع المسلم أنْ يُحوِّل هذه المعاني لهذه الكلمة لواقع عملي بينه وبين الله ﷻ، سواء مِنَ الناحية التربوية فالله هو المُربي أو مِنْ ناحية التملك، فهو ربنا أي: خالقنا وصاحب حقّ التصرُّف فينا كيفما شاء، وسواء مِنْ ناحية الرعاية والإنفاق، أو مِنْ ناحية الحكم والفصل والقضاء وتيسير الأمور وطلبها.

وعلاقة هذه المعاني لكلمة الرّبِّ بالناس، وكل ربوبيَّة غير ربوبيّته سبحانه ناقصة، ويعتريها النقص والمرض والظلم والموت (كربِّ الدار، وربِّ الضيعة، وربِّ الأسرة). أمَّا (رب الناس) هي بالربوبيَّة الحقَّة الصادقة المعطاءة، والتي لا يعتريها سِنَة ولا نوم، ولا موت ولا ظلم ولا نقص نعترف بها ونُقرّ، ونتعبّده بها ونوحّده بها توحيد المعرفة والإثبات، والرجاء والاشتياق.

❁ ❁ ❁

(مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ) الألوهيَّة وحقوقها على العباد، وخاصة توحيد القصد والطلب - توحيد الدعاء -، وتوحيد العبادة والمحبَّة، وشروط الانتفاع بهذه الألوهيَّة مِنْ: محبَّة وصدق وقبول وانقياد ويقين ومحبة وإخلاص وكثرة ذكره، والولاء لها، والرِّضَا بما جاءت به، والإذعان والتسليم والتحاكم لما أمرَ وأوجب، وتمنِّي الموت والشهادة في سبيلها.

• بيَّنت السورة سرِّ الاستعاذة بالله ﷻ، وكيف أنَّ طريق التوحيد للعبد هو أعظم حماية له مِنَ الشيطان، وبالتوحيد يكون العبد آمنًا في دائرة الغفران والإكرام، وأنَّ هذا الوسواس الخناس ضعيف، ولكن سرّ قوته أنه يرانا ولا نراه، فكلما قويت علاقة العبد بربه ومَالِكِهِ وإِلهِهِ كلما خنس وتتضاءَل ذلك الخناس؛ وذلك لأن الله ﷻ يراه ولا يراه هو؛ وذلك سرٌّ عظيم مِنْ أسرار الاستعاذة بالله ﷻ.

• وأوضحت كذلك مداخل الشيطان على العبد: الغفلة، والشهوة، واتباع الهوى، والتزين، والعجب والغرور والكِبْر كيف يكون له مكان يوسوس فيه في صدور الموحدين؛ وهذه الصدور مليئة بحبِّ الله تعالى وبذكره وبطاعته فسدت هذه المداخل عليه فأنى يصل إليها ؟!

❁ ❁ ❁

• وتحدَّثت عن شياطين الجنِّ، وسبب عداوتهم لنا، وكيف نتصوَّر هذه المعركة وتلك العداوة ونراها في صورة حسية على أرض الواقع: سهام، خيل، رجال، ثغرات، أسوار، اغتيال، حصون، رايات، انتصار، وكل ذلك مِنْ أدوات وأسلحة الشياطين فماذا أعددنا لها؟

• وتحدَّثت عن شياطين الإنس وأثرهم على النفس المؤمنة، وكيف لا تنفع معهم استعاذة، وكيف ومتى نستعمل معهم المجاهدة، والمفارقة، والنصيحة، والأمر بالمعروف بمعروف، وأنْ يسبق - هذا المعروف - النهيَ عن المنكر، والنهي عن المنكر بحيث لا يؤدي إلى مُنكر، وأثر الصاحب على الإنسان، والجليس الصالح والسوء، والأخلاء، والأشكال والشِّلَل والجماعات.

وهذا نموذج لعرض التوحيد وتدريسه من خلال تفسير القرآن الكريم، وأثر ذلك على السامع وثبات ذلك في ذاكرته، وكم الاستفادة منه، وآثار ذلك على حياته العمليَّة.

وذلك مثالٌ واضحٌ والقرآن الكريم جُلَّ آياته تتحدَّث عن العقيدة، فإذا أحسنَّا عرضها وشرحها لكان ذلك أفضل وسيلة وطريقة لتدريس مادة العقيدة والتوحيد.

وإليك مثالًا آخر: وهو تفسير صدر سورة فاطر، فتأمله وتدبره.

• **ثانيًا: الحديث النبويّ**:

كما تحدَّثنا عن القرآن الكريم، يأتي الدور على السُّنَّة النبويَّة وهي مليئة بالأحاديث عن العقيدة والتوحيد.

مثال: حديث **ابن عباس** ﷺ: { **احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ..** } (١) الحديث.

وحديث: { **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي..** } (٢) الحديث.

وبنفس المنهج والشرح لسورة الناس يتم عرض الحديث النبويِّ وتدريس العقيدة مِنْ خلاله، وهكذا كان يفعل النَّبيُّ ﷺ وهذا هو هديُه الكريم في تعليم أصحابه ﷺ.

كان يُعلِّمُهم الإيمان مع القرآن، ويغرِس فيهم العقيدة والرجولة مِنْ خلال آيات القرآن الكريم، وتوجيهاته ﷺ.

• **ثالثا: الأذكار والأدعية النبويّة**:

كشرح حديث: { **سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ** }(٣)، وحديث: { **اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ** } الحديث.

وهذه الأدعية والأذكار عند حُسن عرضها وشرحها تتكرَّر هذه المعاني مع

---

(١) أخرجه الترمذي: ك: «صفة القيامة والرقائق»، ب: «صفة أواني الحوض»، ح: «٢٥١٦»، مِن حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم: ك: «يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي»، ب: «تحريم الظلم»، ح: «٢٥٧٧» مِنْ حديث أبي جندب بن عبد الله ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد (٧/ ٣٤١) مِن حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

المسلم كل يوم لأنها مِنْ أوراده اليومية، والأذكار والأوراد اليومية والأدعية مِنْ أهم الأشياء التي تقوي العقيدة والصلة بين العبد وربِّه جلَّ وعلا.

• **رابعًا: شرح كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»:**

وذلك مِنْ خلال حديث: { **بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ** } نشرح المقدمة في بناء الإسلام، وكيف أنَّ هذا البناء يحتاج إلى أرض صالحة خالية مِنَ الموانع، وهذه الأرض هي قلب العبد، فهو محل التقوى والإيمان والمحبة والخشية والرجاء واليقين والتوكل، وهو محل النية، ومحل نظر الله **عَزَّوَجَلَّ** مع الأعمال، ثم الحديث عن الأساس والقاعدة التي تقوم عليها بعد ذلك الأعمدة لكي يتم البناء عليها كاملًا.

ويتمُّ شرح كلمة التوحيد، وهي العمود الأول مِنْ خلال المحاور التالية:

الأول: المحور التركيبي: «**لا إله**» كفر ، «**إلَّا الله**» إيمان.

ومِنْ ثَمَّ نشرح الكفر وأنواعه: مِنْ كُفر الشِّرك، وكُفر النِّفاق، وكُفر التكذيب والجحود، وكُفر الاستهزاء، وكفر التحاكم، وكفر تارك الصلاة، وبيان أنواع الجاهلية مِنْ حكم الجاهلية، وحمية الجاهلية، وظن الجاهلية، وتبرُّج الجاهلية، وربا الجاهلية، ودماء الجاهلية، والنياحة ولطم الخدود وشق الجيوب، والتفاخر بالأحساب والأنساب، وكل ذلك من أمور الجاهلية، التي قال عنها النبي ﷺ في خطبة الوداع: { **أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ** }

الثاني: المحور الإضافي: فكلمة «**لا إله إلَّا الله**» إذا انفردت لها معنى: «**إيَّاك أُريد**»، فإذا أُضيف إليها «**محمد رسول الله**» اكتمل المعنى: (**إيَّاك أُريدُ بِمَ تُريدُ**)، (توحيد المُرْسِلُ، وتوحيد المُرْسَلُ). يعني: لا أُريد سواك، ولا أصِلُ إليك إلَّا بما تُريده مني، وما تريده سبحانك أرسلت به نموذجًا عمليًّا بشرًا رسولًا؛ لنتعلم منه أقرب وأسلم وأصحّ طريق للوصول إليك سبحانك، والحديث عن الرسالة والنبوَّة ووظائف النَّبي ﷺ وحقوقه، وأهمية السنَّة في التشريع والعمل بها.

الثالث: المعنى اللغوي: ببيان معاني كلمة «**إله**» في لغة العرب (المعبود، والمحبوب، والمعظَّم، والمشتاق إليه، والملتجَأ إليه)، ونفي هذه المعاني عن كل ما سوىٰ الله سبحانه، وإثباتها وتحقيقها له وحده.

الرابع: المحور البلاغي الإجمالي: مِنْ فضل كلمة التوحيد، وأهميتها، وكيف جعل الله ﷻ هذه الكلمة فصلًا بين المؤمن والمنافق، والمسلم والكافر، ثم الحديث عن أعظم لفظ في الوجود، وأسهل كلمة نُطق بها، والكلمة الوحيدة التي وُجدت في جميع اللُّغات واللَّهجات دون مُوجِدٍ لها، والكلمة الوحيدة التي لم ولن تطلق إِلّا علىٰ ذات الله تعالىٰ، والكلمة الوحيدة التي يتناجَىٰ بها المظلوم والمضطر والمريض، والكبير والصغير، والعظيم والحقير، والملوك والعبيد، والكلمة الوحيدة التي يقولها الإنسان بلسانه فيرتاح لها قلبه، ويسكن بها فؤاده، ما ذكرها مهموم إِلَّا خفَّ همّه وزال، وما دعا بها مكروب إِلَّا رُفِعَ بها جزء مِنْ كُرَبِهِ أو يزول، وما استعان بها محتاج أو مظلوم إِلَّا أُعينَ علىٰ حاجته، ونُظِر في مظلمته، ليس بين قائلها وصاحبها حجاب، ما ذُكِرت أمام جبار أو مفترٍ إِلَّا اهتزت أركانه، وما ذكرها صالح أو تقي إِلَّا اقشعر جسده، وهدأت نفسه ولانت؛ إنها كلمة «**الله**» الذات العَلِيَّة المقدَّسة.

وصفات الله ﷻ وأسماؤه وأفعاله، وكيف يتفاعل العبد في حياته العملية مع كل اسم مِنْ أسمائه، ويحقِّقُها بمعانيها، ويتعامل معها: كاسم الله «**الغفور**» يستدعي العبد كلما أذنب تاب واستغفر، واسم الله «**الحكم**» يستدعي الرجوع إلىٰ الله تعالىٰ عند الخلاف والشقاق، مع والرضا بِحُكمه، وهكذا.

وأن يتخلق العبد بصفات الله تعالىٰ مِنَ الصبر، والحكمة، والرحمة، والرأفة، والعدل، والقوة، والرُّشد إلىٰ غير ذلك.

❁ ❁ ❁

خامسًا: السيرة النبويّة، وقصص الأنبياء، والقصص القرآني والنبويّ، وسير الصحابة والتابعين والأعلام والصفوة من الأنام والصالحين:

وهذا له أهمية كبيرة جدًّا في تعلُّم العقيدة العمليَّة والتوحيد الفعلي، فكيف كان إبراهيم عليه السلام أُمةً وحده؟! وكيف واجه بمفرده قوَىٰ البغي والعدوان؟! وكيف كان ربُّه أغلىٰ عنده مِنْ أبيه وولده وزوجه؟! وكيف نتعلَّم ثبات قلب الموحِّد من قصة موسىٰ عليه السلام عندما اهتزَّت الفئة المؤمنة معه، وقالوا له: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١﴾؛ فالبحر أمامهم، وفرعون وجنوده مِنْ ورائهم؛ فيقول لهم عليه السلام واثقًا بربه (جلَّ وعلا): ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ [الشعراء]. وقصة سحرة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وصاحب يس، وفتية الكهف، وصاحب الجنتين، وأصحاب الأخدود، وموقف أصحاب النَّبي ﷺ مِنْ غزوة بدر، والأحزاب، وموقف الصِّدِّيق معه في الغار.. وهكذا.

فذلك أفضل مِنْ ذكر قصص المشهورين والمتميِّزين مِنَ الشرق والغرب؛ لأن الأوائل هم الذين اختارهم الله لنا مِنَ الصفوة، وجعل في قصصهم عبرة، ما كان حديثًا يفترىٰ، وهو القصص الحق، وذلك يُوحِي في النفس الميل إليهم، والشوق لما كانوا عليه مِنْ هدىٰ وصلاح، وفلاح وتوفيق. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

أما الآخرون ففي ذكر قصصهم حسرة علىٰ النفس، وتعلّق النفس الضعيفة بهم، والتطلُّع إليهم بما هم عليه مِنَ الكفر والجحود والنكران للخالق المنعم جلَّ وعلا، والتكذيب بسيد ولد عدنان محمدٍ ﷺ.

كما أنَّ النفس إذا تأثرت ومالت إليهم قل إقبالها وتأثرها وميلها إلىٰ قَصص القرآن، وسيرة الأنبياء والصالحين، والقادة والأمراء مِنَ الصالحين الأبرار.

يضاف إلى ذلك سيرة الصحابة ومواقفهم، ومعرفة مناقبهم وأقوالهم وجهادهم ومآثرهم، وكذلك التابعين، والفقهاء والأئمة الأعلام، والأمراء والقادة الذين ملؤوا الدنيا عدلًا وفضلًا، وكانت سيرتهم نموذجًا يُحتَذَىٰ ويُدرَّسُ في جامعات كثيرة شرقًا وغربًا.

سادسًا: معرفة العقائد الفاسدة :

كعقيدة عبد المطلب (إنَّ للبيت ربًّا يحميه)، أبطلها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾[محمد:٤]،وقوله: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾[آل عمران:١٤٠].

وعقيدة بني إسرائيل ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة]، ﴿قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وعقائد الفرق الضالَّة من المشبِّهة والمجسِّمة والمرجئة والخوارج والحَرورِيَّة، والقَدريَّة وغُلاة الشيعة، والقاديانية، والبُهرة، والبَهائيَّة وغيرها.

❁ ❁ ❁

سابعًا: الربط بين العقيدة وهذه الأمور:

١- العقيدة والعبادات: {أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ}.

٢- العقيدة والمعاملة والعمل: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة]؛ فتعامُلُك وعملُك محلُّ نظرِ الله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

٣- العقيدة والأخلاق والآداب والتربية والسلوك: كما كان يُربي النَّبيُّ ﷺ غِلمان الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين): { **احْفَظْ اللهَ يَحفَظْكَ، احْفَظ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِن بِالله،..** } الحديث، وعلاقة الكذب بالعقيدة، والحب والبغض بالعقيدة، والولاء والبراء بالعقيدة،

وبرِّ الوالدَين بالعقيدة، وهكذا.

٤- العقيدة والحديث عن الدار الآخرة: بدءًا بالموت والبرزخ والبعث والحشر والعرض والميزان والحساب والصحف والصراط والكوثر والشفاعة والجنَّة والنَّار، وأثر ذلك على أخلاق المسلم وتعاملاته والحدِّ من طغيانه وفساده.

٥- العقيدة ومصالح الأمّة: دور العقيدة في إحياء الأمَّة وإيقاظها وتقدُّمها ورفعتها والرُّقي بها، والجهاد وأثر العقيدة في حبِّ القتال في سبيل الله والشهادة في سبيله جلَّ وعلا، ودورها في عزَّة الأمة وسيادتها وعلوّها بين الأمم.

٦- العقيدة والإنسان: عن طريق معرفة الإنسان لنفسه: **ممّ خُلق؟ ولماذا خلق؟** ومهامُّه ووظائفه الثلاثة: (الخلافة - الأمانة - العبوديَّة)، **وهل يُترك الإنسان سدى؟** وأهم مِنْ ذلك كله: ربط العقيدة بالعبوديَّة لله ﷻ، وهل تحقَّقت فينا صفات العبد مِنَ البيع والشراء، والطاعة، وأداء المهمَّة المكلَّف بها، والولاء والخضوع والذّلّ لسيده، والمحبَّة والرضا به؟.

٧- العقيدة والواقع: مِنْ ربط العقيدة بالواقع، وتدريس السُّنَن الإلهية التي لا تتغيَّر ولا تتبدَّل.

٨- العقيدة والمسئولية: مِنْ أداء الأمانة، ومسئولية البلاغ والإنذار، والدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحافظة على الخيرية بين البريَّة **(وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ)** [آل عمران: ١٣٩]، ومسئولية ميراث النبوَّة مِنَ العلم وكوننا خاتم الأمم، ومسئولية الرعاية **{ كُلُّكُمْ رَاعٍ.. }**.

٩- العقيدة والعزّة الإيمانيّة: لا ينبغي للمؤمن أنْ يُذِّلَ نفسه، وكيف تواجه هذه العزَّة غلبة أهل الكفر في الأرض؟ وكيف نعمل ونخطِّط لاستعادة هويَّتنا الإسلامية.

١٠- العقيدة وإقامة الحجة الرسالية على الأديان الأخرى: وذلك

بإقامة الحجَّة والبرهان على بطلانها، ومعرفة الفِرَق والمذاهب واختلافاتها وخطرها على مدار التاريخ، ودراسة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

١١- **العقيدة وميزات الإسلام التي تفرد بها**: سواء ميزات القرآن أو الرسول أو العبادات، أو المعاملات أو الأخلاق أو الحكم أو العلاقات الأسريَّة والاجتماعية والدولية، والحديث عن نقصان وبطلان وطغيان مناهج البشريَّة مِنَ الاشتراكية والرأسمالية والديمقراطية، وكذلك الحديث عن العلمانية والحداثة والأفكار المستوردة مِنْ هنا وهناك؛ لتحصين الموحِّدين مِنْ بطلان أفكار الشياطين.

١٢- **العقيدة وتطبيق الشرع**: وإقامة الدِّين، والتمسُّك بالحدود، وأسلمة العلوم، وهيمنة مبادئ الإسلام وَقِيَمِهِ وحدودِهِ وشريعتِهِ على ما سواها.

١٣- **العقيدة والغيرة على الدِّين والعرض**: ومحاربة التبرج والسُّفور، والمحافظة على المال العام والخاص، ومحاربة الرِّبا والغِشِّ وأكل أموال الناس بالباطل والرشوة، والغَيرة على العقل، ومحاربة المسكرات والمخدرات والدخان، والغيرة على النفس بعدم تعريضها للهلاك.

١٤- **العقيدة ووحدة الأمَّة الإسلامية**: وقيام الاتحاد الإسلامي، وعودة الخلافة على منهاج النبوّة، وإزالة الحدود بين البلاد الإسلامية، ومحاربة العصبيات والقوميات والنعرات الجاهلية، وحرية الحركة والتنقل والتجارة بينها.

١٥- **معرفة الحقوق والواجبات**: ليعرف كل فرد ما لَهُ فيأخذه ويطالب به، وما عليه فيؤديه راضية به نفسه.

١٦- **العقيدة ودورها في التكافل الاجتماعي والتضامن**: والتعاون على البرِّ والتقوى، وأثر الزكاة والصدقات في بناء مجتمع قويٍّ خالٍ مِنَ الحقد والحسَد

والشُّح والبُخل، وأثرها في الوقاية، والصحة الإنمائية والنفسية، وسلامة المجتمع مِنَ الآفات والخرافات والخزعبلات والسَّحَرة والمشعوذين.

• هذا مثال لطريقة تدريس العقيدة والتوحيد؛ مما يؤهِّلنا لاستقبال أفراد مؤهَّلين عمليًّا وعلميًّا لحمل أمانة الإسلام دون تردُّد أو خوف أو هلَع، حاملين هذه الأمانة العظيمة والراية الجليلة لتعلوَ على سائر الرايات والغايات.

ولتتحوَّل العقيدة إلى واقع عملي في حياة المسلم يتلمَّسُه من حوله، ويرغب ويتمنَّى أن يكون مثله.

عقيدة لا انفصام ولا انفصال بينها وبين المعاملات، وبين العبادات، وبين الأخلاق والسلوك.

عقيدة تعلم القتال في سبيل الله بحكمة السيف، وسيف الحكمة.

عقيدة بعيدة عن هوى النفس، وأهواء الشياطين، وأوهام الناس.

عقيدة يتميز بها ويعتز بها، ويفخر بها، تكسبه العزَّة، وتحميه من المذلَّة.

عقيدة راسخة ثابتة في القلب والعقل والروح، تزول الجبال ولا تزول.

عقيدة تعلمه القوة في الحق، والرحمة مع الخلق، والرأفة في الأشياء، والحكمة في الأمور، خالية من الشرك والشكِّ والنفاق.

عقيدة لا يحابي عليها أو يجامل، لا يماري بها السفهاء، ولا يجادل فيها مع المرائين.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

❁ ❁ ❁

◘ نموذج آخر لتدريس السيرة النبويّة:

الهجرة النبويَّة مِنْ مكة إلى المدينة: يتم عرضها كأحداث تاريخية، لكننا نريد أنْ

نستخلص منها العبر والدروس التربوية والمنهج الأمثل الذي يساعدنا على التغيير.

فيمكننا أن ندرس مِنْ خلالها:

١- ربط الهجرة بالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، كما في آيات الهجرة.

٢- التفكير والتخطيط ضرورة إسلامية وفريضة شرعية.

٣- فنّ صناعة الهدف والإصرار والعزيمة للوصول إليه، واستثمار الإنسان وطاقاته وإمكانياته، وكيف صنع مِنَ العرب البدو رعاةَ أممٍ وسادةً للعالمين، وكيف أن المسلم لا يستطيع أن يحيا إلَّا في بيئة إسلامية تحوط به من كل جانب.

٤- تطوير النفس وتغيير أنماط الحياة بما يتلاءَم مع تطوراتها ومفاجآتها.

٥- الوحدة الشعورية والرابطة الإيمانية، والأخوة الإسلامية، واستغلال كل طاقة في المجتمع كبيرًا كان أو صغيرًا، رجلًا كان أو امرأة.

٦- تعلم العزَّة الإيمانية وترسيخ الهُوِيَّة الإسلامية.

٧- إرساء قواعد الحكم والقضاء، وتنظيم العلاقات بين الناس.

٨- دور المسجد وأهميته في المجتمع المسلم، وأثر صلاة الجماعة في تهذيب الأخلاق والمعاملات.

٩- علوّ الهمَّة، والتمسُّك بمعالي الأمور.

١٠- معرفة السُّنَن الربَّانيَّة مِن مثل: (النصر مع الصبر)، (بعد العُسر يُسر)، (فرج الله آت وقريب)، (نصر الله لرسوله والمؤمنين، (العفو عند المقدرة عزة وعلو وقوة وهيبة)، (ما كان لله دام واتصل)، (لا ينبغي للمؤمن أن يذلَّ نفسه)، (كل ما هو آتٍ قريب)، **﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾**، **﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾**، وغيرها كثير.

❁ ❁ ❁

وقفة

• ورد في الحديث الذي أخرجه البزَّار في «كشف الأستار»، ك: (العلم)، ح: (١٧٣) قوله ﷺ: { تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى بِضْعٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، أَعْظَمُهَا فِتْنَةً عَلَى أُمَّتِي قَوْمٌ يَقِيسُونَ الْأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ فَيُحِلُّونَ الْحَرَامَ وَيُحَرِّمُونَ الْحَلَالَ }.

• وفي رواية معاوية رضي الله عنه: { وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ " وَاللهِ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَغَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ أَحْرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ }

أخرجه أبو داود ك (السُّنَّة) بـ: (شرح السُّنَّة) ح: (٤٥٩٧).

• قال الحاكم النيسابوري: « قَوْمٌ سَلَكُوا مَحَجَّةَ الصَّالِحِينَ، وَاتَّبَعُوا آثَارَ السَّلَفِ مِنَ الْمَاضِينَ وَدَمَغُوا أَهْلَ الْبِدَعِ وَالْمُخَالِفِينَ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ مِنْ قَوْمٍ آثَرُوا قَطْعَ الْمَفَاوِزِ وَالْقِفَارِ عَلَى التَّنَعُّمِ فِي الدِّمَنِ وَالْأَوْطَارِ وَتَنَعَّمُوا بِالْبُؤْسِ فِي الْأَسْفَارِ ، مَعَ مُسَاكَنَةِ الْعِلْمِ وَالْأَخْبَارِ.

قَدْ رَفَضُوا الْإِلْحَادَ الَّذِي تَتُوقُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الشَّهْوَانِيَّةُ، وَتَوَابِعُ ذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْمَقَايِيسِ وَالْآرَاءِ وَالزَّيْغِ ».

«معرفة علوم الحديث» للحاكم (٢-٣)

❁ ❁ ❁

obeikandl.com